

نقد النظرية العرفانية
(التوليدية التحويلية أنموذجا)
أ.د. إسراء عريبي فدمع الدوري
الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

نقد النظرية العرفانية (التوليدية التحويلية أنموذجا)

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

أ.د. إسراء عريبي فدعم الدوري

مقدمة :

مازالت اللغة مرتعا خصبا للبحث والدراسة بكل اقنوماتها وموضوعاتها من تاريخ نشوئها وماهيتها و اكتسابها بقواعدها ومادتها، ومازالت الأسئلة قائمة برغم من الإجابات الكثيرة عنها عبر الزمن ، ويعد البناء المعرفي للغة مصدرا مهما لبناء أي نظرية أو تقويم أي اتجاه لغوي يأز في ساحة البحث العلمي، وما خلفته الحضارات الإنسانية من البحث يعد اللبنة الأساس والأولى في البحث اللغوي وبله تاريخ البحث اللغوي في الحضارات السومرية والآكدية وعند الهنود واليونان والرومان ولنتحدث في النظريات الحديثة اللسانية والتي منها النظرية العرفانية والتي قامت على أساس المعرفة التي هي نتاج العقل وعمله، والذي من صفته الذكاء فالكائن الذكي هو من له القدرة على تقسيم العالم المعقد الذي يعيش فيه على مجموعات وعناصر صغرى يمكن تحديدها ومعرفتها ويمكن بعد ذلك أن يستعمل المعرفة هذه في أداء الأعمال المختلفة على وفق حاجته ، أما المحيط به فهو مصدر المعلومات التي يستقيها من خلال ما يمتلك من خصائص جسدية عن طريق السمع والابصار واللمس والتذوق والشم يستلم المعلومات فيبدأ بالتصنيف والتبويب والتنضيد ثم بعد ذلك أنجاز العمل وقد يكون هذا العمل جسديا أو لغويا أو انفعاليا اذن لكل انسان مدخلات من المعلومات ثم معالجة هذه المدخلات في العقل والذي يحتوي على معلومات ونظم معينة ثم المخرجات والتي هي أعمال جسدية او قولية او انفعالية، والنظرية العرفانية تدرس العناصر الثلاث وهي المدخلات والمعالجة والمخرجات، علم المعرفة حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في جميع الاختصاصات الأكاديمية من لسانيات وعلم النفس والانثروبولوجيا والحاسوبية وهو يعتمد على تفسير العمليات العقلية والمفاهيم المتعلقة به فهي تدرس العمليات الذهنية

فالعرفانية كما يذهب ازهر الزند في كتابه نظريات لسانية عرفانية¹، تجيب على الأسئلة الآتية ما هو الذكاء كيف يشتغل الذكاء ماذا يجعل الذكاء أما روافد العرفانية فهي سيبرانيتية ونفسية وحاسوبية وعصبية ولسانية ومنطقية وفلسفية² وهذه الدراسة تحتاج الى عدد من العلوم منها اللسانيات، وهي تقوم على أساس الانتقال من الكل الى الجزء لفهم الكل فالكائن الذكي و اللغويون يبحثون عن اللغة في كل هذه العناصر . وفي بحثنا هذا نحاول ان نعرض للنظرية التوليدية التحويلية والوقوف على أهم نقوداتها وقد تطلب البحث أم يكون على تناولنا في الأول الاستعداد الفطري اللغوي عند جومسكي أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه القواعد النحوية بين الاجبار والاختيار عند جومسكي أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه عناصر التحويل عند جومسكي ثم النتائج وثبت المصادر .

المبحث الأول

الاستعداد الفطري اللغوي عند جومسكي

الدماغ نظام معقد من المكونات المتفاعلة منها الملكة اللغوية وهو نظام خاص بالجنس البشري لامثيل له عند الكائنات الحية ، والدماغ البشري يمتلك نظاما قواعديا عالميا موحد عند كل البشر وهو يقوم بمعالجة المدخلات من اللغة وهذا النظام نسميه بالملكة، وكل هذا تحت عنوان المعرفة النظرية العرفانية لجومسكي

1 نظريات لسانية عرفانية 16

2 نظريات لسانية عرفانية 16

تعد نظرية جومسكي من أول النظريات العرفانية والتي اعتمدت العمليات العقلية الذهنية هي الأساس في معالجة النصوص تحت ما يسمى النحو الكوني وهي وسائل موجودة في ذهن الانسان مخلوقة فطرية تبدأ بالعمل عند التعرض للكلام المسموع والعبارات المختلفة فتبدأ اللغة المضمرة الداخلية بالتكون ، فالدماغ يتكون من نظام معقد من المكونات المتفاعلة والتي منها اللغة وهذا المكون موجود عند كل انسان وعند تلقي المعلومات والعبارات تبدأ بالعمل لتكون اللغة وبحسب ما استلمه الطفل من لغة سيتركلم بها الطفل سواء عربية او إنكليزية او فرنسية¹ وماذهب اليه جومسكي بنجده علماء العربية ولاسيما في حديثهم عن نشأة اللغة فابن جني ذكر الاستعداد الفطري عند الانسان للتكلم وعلى الرغم من اهتمام العرب بالمنهج المعياري واضطراب القاعدة اهتموا باضطراب القاعدة والوجوه الاعرابية المتعددة للتركيب والجملة وقد ذكروا كل عناصر التحويل التي ذكرها جومسكي اذن فهو قد أعاد تصنيف الموضوعات اللغوية بحسب نظريته .

أما النحو الكوني أو المكون الذي يولد مع الانسان والذي يعالج اللغة فاجده من وجهة نظري هو مراكز ذكاء يتم فيها معالجة المدخلات المختلفة الداخلة من البيئة وذلك لأن النحو الكوني الذي قاله جومسكي لا وجود له في دماغ الانسان فاللغة عندما وهبها الله سبحانه وتعالى الى الانسان بدليل قال تعالى : **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** البقرة آية

استقرها الانسان في عقله وقام بعملية التصنيف والتبويب والتعقيد ووضع القوانين لها واقامها على أساس المسند والمسنود اليه وفضلات الجمل والأدوات النحوية وغيرها وفصل القاعدة وسعى سعياً حثيثاً الى اطرافها ونقول اذا كان النحو العالمي الذي يولد به الانسان قائماً على هذه القوانين وهي وضع بشري فكيف يتحول الوضع البشري الى وضع خلقي ، نعم الانسان يمتلك قدرات عقلية وكان للتعامل مع اللغات عبر ذكائه من المسلمات العقلية وتبقى اللغة ظاهرة اجتماعية تتعاون جميع العوامل المحيطة بالإنسان لتعلمها والنطق بها فآدم عليه السلام منذ أن نطق الى عصرنا هذا ورث أبناؤه اللغة ومنذ أن رست سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي وتفرق أبناؤه شرقاً وغرباً نشأت فصائل اللغة المتنوعة فكانت السامية أي اللغات الجزرية والحامية واللغات الهندو وربية والطورانية وغيرها من الفصائل ، والعربية عندي هي أم اللغات السامية وذلك لأنها أوسع اللغات وأكثرها مادة وأصواتاً وأكثر مرونة في التصاريف والقوالب القواعدية فهي لغة الصاقية اشتقاقية تنماز بتعدد أوعية معانيها وكثرة مبانيها فهي حية باقية ، ثابتة الأصول متينة الأركان فلا يؤثر فيها الزمان والمكان ، لذا لا يطرد فيها ناموس التغيير ولا ترزخ تحت قانون التطور اللغوي الا بالقدر اليسير الذي يجددها فتلي حاجات كل العصور تطورا لا يشوهها أو يغير في ثوابتها فهي محفوظة ، لأنها لغة القرآن قال تعالى : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ عَلَيَّ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٤﴾**

واللغة عند جومسكي توليدية وقد رفض أن تكون اللغة سلوكية تكتسب بحسب نظرية المدرسة البلومفيديّة² فهو يستند على القدرات العقلية والذهنية في انتاج اللغة وقد مرت نظريته بثلاث مراحل³ المرحلة الأولى الكلاسيكية وتتم بالبنى النحوية ثم عدل عليها في المرحلة الثانية في البنى التركيبية واسماها النظرية النموذجية ثم حاول تجاوز سلبيات هذه الأخيرة لاغفالها للدلالة فجاءت

¹ المصدر نفسه 41

² ينظر : مدخل الى اللسانيات 83

³ ينظر . اللسانيات النشأة والتطور 205

المرحلة الثالثة في الدلالة واهميتها في القواعد التوليدية وتكون النظرية النموذجية الموسعة ، وهذا التطور طبيعي لأنها صناعة ذهن بشري يحاول دائما تصحيح المفاهيم المتعلقة بالنظرية ومحاولة استيفاء ما غفل عنه جومسكي في نظريته من اللغة وما فيها من قوانين ومعان .

المبحث الثاني القواعد النحوية بين الاجبار والاختيار عند جومسكي

قسم جومسكي البنية التركيبية العميقة على قسمين قواعد اجبارية وهي التي لا يصح فيها الكلام عند خرقها وقواعد اختيارية يصح فيها عدم الالتزام بها¹، وهذا ما ذكره هو بالاصل مشتق من النحو المعياري العربي فقد استقرأ النحاة اللغة العربية ووضعوا قوانينها والتي توزعت بين الوجوب والجواز بل أنهم أكثر تشعبا في تقسيم القوانين غير الاجبارية وأكثر دقة فقد اصطلحوا على هذه القوانين بمصطلحات عدة قائمة في أسسها على الأصول اللغوية والنحوية التي اعتمدها في تقنين المعيار فقالوا صحيح وفضيح وجائر وضعيف و لغة ومسموع وكل هذه الوجوه غير اجبارية تستند على أمثلة وكلام العرب .

نقد القواعد الاجبارية والاختيارية عند جومسكي وأثر القصدية والمقولات النحوية فيها

ينطلق جومسكي من فكرة القالب الأساس الذي يكون في ذهن المتكلم ويمثل عنده القالب التوليدي والذي يمازج بين القواعد التي تولد مع الانسان و هي مرتبطة بكفاية المتكلم² (والتي هي قدرة المتكلم على انتاج عدد هائل من الجمل) ثم يمر هذا القالب بالمرحلة التحويلية والتي توافق الطبيعة اللغوية للمتكلم وعلى وفق القواعد اللغوية فكل جملة توليدية هي الأساس وكل جملة تحويلية ناتجة عن جملة توليدية³ وذكرنا سابقا أن جومسكي يقسم القواعد على قسمين اجباري واختياري ، ونلاحظ أن جومسكي قد عد الجملة التوليدية انطلقتها من المكنة اللغوية ومعرفته المختزنة باللغة⁴ فأشار ضمنا الى النحو الكوني والمخزون الفكري اللغوي الذي يولد مع الانسان ونتيجة لتلقي لغة ما يتكلم بها الانسان بحسب ما تلقاه من الجماعة اللغوية ، لكننا نجد في هذا تعارض مع ما قسمه من قواعد اجبارية وقواعد اختيارية ولاسيما نلاحظ هذا في النحو العربي ففي مفهوم الرتبة والذي يلتزمه المتكلم عند غياب القرينة المعنوية واللفظية أي حركات الاعراب نحو ضرب موسى عيسى هنا نجد ضرورة التزام الرتبة من تقديم الفاعل على المفعول به لئلا يلتبس المعنى ، لكن في قولنا أكل موسى الكمثرى ضرب محمد زيدا جاز التقديم والتأخير فنقول ضرب زيدا محمد وأكلى الكمثرى موسى كذلك في قولنا ضرب محمد زيدا نقول محمد ضرب زيدا على أن محمد فاعل ولا يجوز تقدمه على الفعل بحسب الرأي البصري أما الرأي الكوفي فينقل هذه القاعدة من الاجبارية الى الاختيارية بسبب جواز تقدم الفاعل على الفعل ونجد في القواعد الطبيعية من المسند اليه والمسند هو تركيب يعتوره التغيير بسبب القصد أو المقولة النحوية ففي قولنا رجل في الدار بنية عمية أولى وبسبب مقولة نحوية وهي لا يجوز الابتداء بالنكرة تم تقدم الخبر على المبتدأ اذن المقولات النحوية والضوابط اللغوية هي العلة الاساس في دخول عنصر التحويل في الجملة وقد غفل جومسكي عن العلة وحدد مسارات التوليد من حذف وزيادة وتقدم وتأخير وغير ذلك .

كذلك نجد محدودية القواعد الاجبارية في اللغة وذلك بسبب الاجازات النحوية بين المدرسة البصرية والكوفية كذلك تدخل القصدية في تحويل الجمل ذات القوالب المفروضة في اللغة الى قوالب أخرى صحيحة تحقق مقصد المتكلم بل أن بعض القوالب المفروضة عند جومسكي نحو المسند اليه والمسند أي المبتدأ والخبر يكون بسبب المقولات النحوية والمفروضات اللغوية مرفوضة

¹ ينظر في اللسانيات ونحو النص 96

² ينظر منهج البحث اللغوي 44

³ ينظر محاضرات في اللسانيات 831

⁴ ينظر في اللسانيات ونحو النص 95

قواعديا نحو لا يجوز الابتداء بالنكرة نحو قولنا رجل في الدار فالقالب الصحيح هو في الدار رجل خير + مبتدأ فتقرير قاعدة وجوب تقديم المبتدأ توازي قاعدة وجوب تقديم الخبر فما قرره القدماء وقاله جومسكي ليس بفرض أن يكون قاعدة نحوية بل علينا أن ننظر الى المكونات الرئيسة للجملة الاسمية من مسنداليه ومسند وهما محكومان بالفروضات النحوية كذلك بقصدية المتكلم ، فلا قواعد اجبارية شاملة مطردة الا ما تفرضه اللغة بسبب نظامها القواعدي وليس بما قرره النحاة من تسلسل في القالب النحوي فعل +فاعل + مفعول به و مبتدأ + خبر أي الرتبة لا تحدد أساس القالب النحوي بل هي أحد العوامل التي تبين قصدية المتكلم خاصة اذا لم يؤمن اللبس بغياب القرينة الاعرابية أي الحركات والقرينة المعنوية .

ان النحو العربي يفرض الرتبة ابتداء في الجملة العربية النواة وبله المتلازمات النحوية في الفضلات او ما يطلق عليها بتميمات الجملة ومن فرضية الرتبة والذي يعده جومسكي القالب الأساس تنطلق التحولات والتوليدات وبرغم الخطأ الوارد في التزام الرتبة في القالب النحوي تبدأ عملية التوليد وسؤالنا هل هي عملية توليد أم تصحيح وهل يجوز ان أولد جملة من قالب نحوي غير سليم لا يتناسب مع نظام اللغة ففي قولنا غلام في الدار جملة مخالفة لنظام اللغة صحيح بالنسبة للقالب النحوي فهل تبدأ عملية التحويل هنا أم عملية التصحيح لتوافق الجملة نظامنا العربي فان قلنا هي بنية عميقة ثانية تولدت من بنية عميقة أولى يبقى الكلام كيف يولد من جملة غلط جملة صحيح أم هو تصحيح مسار الجملة الأساس على وفق نظام اللغة .

ولاسيما أن اللسانيين قد حددوا خصائص البنية العميقة بثلاثة محاور وهي :

- 1 - الشمولية وهي ان البنية تشمل على عناصر خاضع لقوانين تتحكم في النظام بأكمله تسمى قوانين التركيب .
 - 2 - التحول وهو أن مجاميع البنية العميقة لها قدرة على التحولات الداخلية فالبنية العميقة لا تكون على حال السكون المطلق بل في حالة حركة وتوليد
 - 3 - التحكم الذاتي وهو حفاظ البنية على نفسها في دائرة مغلقة للحفاظ على حدودها واستمرار بقائها¹
- فالبنية عندهم مجموعة من العناصر وكل عنصر تظهر أهميته من خلال علاقته بالعناصر الأخرى والعنصر لا تظهر أهميته الا من خلال وضعه مع مجموعة العناصر²

لذا أجد أن العناصر نحو المسند والمسند اليه والفعل والفاعل لا تنتظم بقواعد ابتداء من الترتيب بل يتوزع ترتيبها بحسب نظام اللغة وشم قصدية المتكلم ، فمن قال أولا أن الرتبة هي المتقدمة أولا في النسق النحوي ، فان قيل الاستقراء وما سمع عن العرب والاصل الترتيب ثم عوارضه فلا بد من إعادة الاستقراء ومن ثم الإحصاء والموازنة لإصدار الحكم .

المبحث الثالث: عناصر التحويل عند جومسكي

عناصر التحويل عند جومسكي هي³:

- 1- الحذف وهو حذف أحد أجزاء الجملة
- 2- الزيادة وهو زيادة عنصر في الجملة
- 3- التقديم والتأخير وهو تقديم أحد عناصر الجملة على عنصر آخر

¹ ينظر : النظرية البنائية في النقد الادبي 130

² ينظر : قضية البنيوية دراسة ونماذج 105

³ ينظر النحو العربي والدرس الحديث 259 وقواعد تحويلية للغة العربية 38

4- الاحلال والتعويض وهو إحلال عنصر بدل العنصر الأساس في الجملة

لو تأملنا العناصر السابقة نجد أن حقيقة التحويل لا يقوم على هذه العناصر حقيقة بل على قانون اللغة الذي ينتظم تحته الانساق اللغوية ففي الحذف والذي يجعله سيبويه أصلا من أصول الكلام العربي¹ يكون الحذف بين الواجب والجائز ففي قولنا صبر جميل فصبر خير لمبتدأ محذوف تقديره صبري صبر جميل ، نلاحظ أن التقدير الحاصل هو مخالف تماما للمنهج الوصفي الذي يدرس اللغة كما هي ويتعد عن التقدير .

وقد تحدث الكثير من القدماء عن ظاهرة الحذف فيجعلها ابن جني من باب شجاعة العربية فيقول : " قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحركة وليس شيء من ذلك الا من دليل عليه والا كان فيه ضرب من التكليف علم الغيب في معرفته"² اما التقدم والتأخير فقد سبق وان تحدثنا عنه ففي قولنا .

فتحدث العلماء عن الحذف والاضمار وقد خلط بعضهم بين المصطلحين ونبه على ذلك بقوله إن الاضمار هو ما لا بد منه في الجملة وهو غير ظاهر أما المحذوف وهو موجود في الجملة ويمكن الاستغناء عنه³ ، واضيف أن المحذوف حذفًا واجبًا هو مضمرة أما الجائز فهو ما يمكن الاستغناء عنه وقد وهم بعض الباحثين حينما عد الحذف الواجب من القواعد الاجبارية عند جومسكي⁴ وذلك لأن القواعد الاجبارية هي القوالب الأساسية المتفق عليها عند جمهور النحاة في نظام اللغة أما الحذف فهي ظاهرة في العربية وقد عدها جومسكي من عناصر التحويل .

ومن الحذف الواجب قي قواعد اللغة نحو أصل المتعاطفين بتكرار العامل جاء محمد و زيد واصل الجملة جاء محمد وجاء زيد فهنا تم دمج قالبين تحت مبدأ الاختصار والسهولة وهذا عنصر يسمى الایجاز والاختصار يتم خلاله الحذف كذلك في قولنا ادرس المدرس فالفاعل للفعل ادرس مضمرة وجوبا والقالب الأساس هو فعل + فاعل + مفعول به لذا قيل إن الفاعل مضمرة وجوبا هذا كله يناهز من دعا الى التيسير وتخليص النحو من التقدير ومخالف للمنهج الوصفي الذي يدرس اللغة ويصفها كما هي دون تقدير .

الخاتمة:

في نهاية بحثنا هذا نقف عند أهم النتائج

- 1- اعتناق جومسكي لمبدأ أن اللغة استعداد فطري عند الانسان وكل مولود يولد ومعه نظام اللغة والتي يبدأ عملها من خلال ما يستلمه من مادة لغوية فيتحدث الانسان بحسب مدخلاته من أصوات ومادة لغوية وهذا مخالف تمام لحقيقة ان اللغة توفيقية من الله وأما تعييدها ووضع نظامها ودراستها كان بجهد بشري فكيف تكون قوانين اللغة التي هي صناعة بشرية تولد فطرية طبيعية غير مكتسبة . مع الطفل .
- 2- قد غفل جومسكي في حديثه عن عناصر التحويل عن المقولات النحوية والنظام اللغوي والقواعد التي تنقل الجملة من بنية الى أخرى أي توليد الجمل نفسها لذا لا بد من بحوث ودراسات تبين هذه القواعد
- 3- عناصر التحويل تحدث عنها قدماء العربية بدقة ووضوح أكبر مما تناوله جومسكي

¹ ينظر الكتاب : 1 / 25

² الخصائص 2/ 360

³ ينظر : الرد على النحاة 106

⁴ ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي 140

- 4- بسبب الخلافات النحوية بين علماء العربية واجازاتهم من الصعوبة تحديد القواعد الاجبارية والقوالب النحوية الأساسية في اللغة .
- 5- اغفال القصدية في التركيب النحوي عند جومسكي أدى الى ضعف كبير في بيان التحولات في الانساق اللغوية
- 6- العرب أكثر تشعبا في تقسيم القوانين غير الاجبارية وأكثر دقة فقد اصطلاحوا على هذه القوانين بمصطلحات عدة قائمة في أسسها على الأصول اللغوية والنحوية التي اعتمدها في تقنين المعيار فقالوا صحيح وفصيح وجائر وضعيف و لغة ومسموع وكل هذه الوجوه غير اجبارية تستند على أمثلة وكلام العرب .
- 7- اذن المقولات النحوية والضوابط اللغوية هي العلة الاساس في دخول عنصر التحويل في الجملة وقد غفل جومسكي عن العلة وحدد مسارات التوليد من حذف وزيادة وتقديم وتأخير وغي

المصادر

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي طاهر سلمان حمود الإسكندرية 1998
- الخصائص أبو الفتح عثمان ابن جني تحقيق علي النجار دار الكتب المصرية
- الرد على النحاة ابن العباس احمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي ت 592 ت د. محمد إبراهيم ط 1979 دار الاعتصام
- في اللسانيات ونحو النص إبراهيم أحمد خليل عمان الأردن 2009
- قضية البنيوية دراسة ونماذج عبد السلام المسدي تونس 1991
- قواعد تحويلية للغة العربية محمد علي خولي سعودية الرياض 1981
- الكتاب، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي 1988
- اللسانيات النشأة والتطور أحمد مؤمن، ديوان مطبوعة الجامعة الجزائرية ط 2 2005
- محاضرات في اللسانيات فوزي حسن الشايب عمان الأردن 1991
- مدخل الى اللسانيات محمد محمد يونس بيروت 2004
- منهج البحث اللغوي نعمة العزاوي مطبوعات المجمع العلمي العراقي
- النحو العربي والدرس الحديث عبده الرجحي النهضة 1979
- نظريات لسانية عرفانية د. ازهر الزند الدار العربية للعلوم الناشر
- النظرية البنائية في النقد الادبي صلاح فضل دار الافاق بيروت 1980